مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد الحادي عشر، ٢٠١٩ م

معامل التأثير العربي: ٢.٢

ISSN (Print) : 2277-9914 **e-ISSN (Online) : 2321-2756**

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

الأنا وتمرد الذاكرة في الخطاب الروائي العربي ما بعد الكولونيالي

رواية «التفكك» لرشيد بوجدرة أنموذجا

د/ جمعة مصاص

أستاذة الأدب والنقد، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر

توطئة

مثل الخطاب الروائي العربي ما بعد الكولونيالي ميدانا خصبا للدراسات الحداثية؛ حيث سعى من خلال نصوصه الإبداعية إلى إبراز الذات في علاقتها وتفاعلها، مستدعيا بذلك متلقيه إلى استقبال بوح الأنا في تضادها مع الآخر. لعل المتتبع لمسار الكتابات السردية ما بعد الكولونيالية، يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تغلغل في الكتابة السردية، ومس كيانها عبر محاكاة الراهن والاشتغال على الثنائيات الضدية مثل صراع المركز والهامش السلطة والشعب، الهوية والآخر، الخطيئة والفضيلة، وهو ما احتوته رواية "التفكك" لرشيد بوجدرة. تقوم رواية "التفكك" لرشيد بوجدرة على محاولة تتبع تمرد الذاكرة وتضخم الأنا عبر تفجير اللغة، وانتهاك الأعراف، بالاتكاء على الحلم والتداعي وعبر مسالك الذاكرة والتمرد على النسق التقليدي في المعالجة صوب محاكاة إيديولوجيا الراهن وصراع الفرد مع الفرد ومع الجماعة. وهو ما يدفعنا إلى البحث عنه عبر الإجابة على سؤال جوهري: كيف حاولت الرواية إبراز تضخم الأنا وتمرد الذاكرة في ظل التحولات التي مست المجتمع الجزائري في مرحلة ما بعد الكولونيالية؟.

١- بوح الأنا وتداعيات الزمن النفسي

لعل المتتبع لمسار الكتابات السردية ما بعد الكولونيالية، يقر بمدى التنوع والتجديد الذي تغلغل في الكتابة السردية، عبر محاكاة الراهن والاشتغال على صراع المركز والهامش السلطة والشعب، الهوية والآخر، الخطيئة والفضيلة..أين غدا الزمن النفسي -الذي يتشح به الخطاب الروائي- مهووسا بترجمة الأزمة النفسية التي يعيشها بطل الرواية "الطاهر الغمري" عبر تداعيات وأشكال من الهوس والهذيان يترجم كل ذلك تضخم الأنا وتمرد للذاكرة وتفكيك للمنطق وتفجير لبنيات اللغة. وانطلاقا من هذا المعطى عمل الزمن النفسي على اختراق ذاكرة البطل "الطاهر الغمري" متجاوزا بذلك ملامح الحضور التي طرحتها الرواية التقليدية، مترفعا عن كونه عنصر تأثيث حيث راح يعاكس الذاكرة ويدغدغ الأنا، مستعينا بصدق التجربة وحرارة المعاناة ليراقص الزمن الماضي المستحضر بواسطة الذاكرة عبر الومضة الورائية.

نزع الاتجاه الروائي للأدب الجزائري المكتوب بالعربية • إلى الواقعية الانتقادية في محاولة لترميم وإعادة بناء الذات، بركوب موجة التجديد والتوسل بآليات من "الخيارات الواعية المتعمدة التي تقلق طمأنينة القارئ المعتاد على الحبكة التقليدية والشخصيات الواقعية ولكنها تقوم قبل كل شيء على التجريب الذي لا يعرف

• تمييزا له عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

الكاتب نتيجته إلا بعد انتهاء الرواية، ولا يعرف مصيره إلا بعد أن يحكم عليه القرّاء"([1]) أين يتناول الكاتب في كتابته السردية مواضيع ومضامين جديدة تنأى عن الاتجاه التقليدي، وعن المثالية التي سعى البعض من القوى السياسية الفاعلة لإضفائها على الاتجاه الثوري الجزائري، فجاءت مرحلة ما بعد الكولونيالية ملامسة للواقع في شتى أبعاده وتوجهاته. وتأتي رواية "التفكك" لرشيد بوجدرة مترجمة لواقع مابعد الاستقلال، فغدا الزمن النفسي -الذي يتشح به الخطاب الروائي- مهووسا بترجمة الأزمة النفسية التي يعيشها بطل الرواية "الطاهر الغمري" عبر تداعيات وأشكال من الهوس والهذيان، يترجم كل ذلك تضخم الأنا وتمرد للذاكرة وتفكيك للمنطق وتفجير لبنيات اللغة. تأتي كتابات مابعد الكولونيالية لتعكس هواجس القلق وهواجم اللاستقرار على مستوى الفرد والمجتمع، في ظل منظومة هشة لا تزال ترزح تحت قيود الاستعباد والتبعية الاستعمارية في محاولة لتتبع تمرد الذاكرة وتضخم الأنا عبر تفجير اللغة، وانتهاك الأعراف، بالاتكاء على الحلم والتداعي وعبر مسالك الذاكرة والتمرد على النسق التقليدي في المعالجة صوب محاكاة إيديولوجيا الراهن وصراع الفرد مع الفرد ومع الجماعة.

١- الأنا وسلطة الذاكرة في رواية التفكك

يقف الروائي أمام عتبات الأنا وقفة الطفل؛ الذي ينطق باسمه حين يتكلم على ذاته، فيوقع بوحه وآهاته والأنا "عندما تتصدر الكلام لها جلبة كبر وخيلاء، وتكون بؤرة تشع منها إرادة فردانية ورغبة بالكمال وهناك قرينة تلازمها هي العزلة والوحدة"([2])، تشكل بدورها حقلا بحثيا يوغل فيه القارئ، ليكتشف هوية السارد استنادا إلى وقائع لغوية (الحروف، التراكيب..) وإلى وقائع غير لغوية (الحوادث الاجتماعية ملابسات المكان والزمان ..). إن التمرد الذي اعتنقته الذاكرة وجعلته طقسا مهيمنا في يوميات البطل الذي يعاني من نزيف الذكريات وعذابات الضمير، جعل لها سلطة مكنتها من مواجهة الذات والتكيف مع الواقع.

قبل أن نتوغل في تفاصيل رواية التفكك لابأس أن نأخذ لمحة عن الروائي رشيد بوجدرة المنتمي إلى جيل الكتاب الجزائريين، الذين يتقنون اللغة الفرنسية؛ أمثال محمد ديب ومولود فرعون ومالك حداد وآسيا جبار.. وغيرهم كثيرون، وقد ولج عالم الكتابة عبر اللغة الفرنسية([3]) لعديد الأسباب أَوْجَزها قائلا: "إنني حين بدأت الكتابة سنة ١٩٦٩-١٩٧٠، كانت هناك مشاكل سياسية وموضوعات تاريخية، كما كانت هناك مشاكل تتعلق بالرقابة، فكيف يمكن وضع رواية مثل "الطلاق" بالعربية؟. لقد كان القراء القادرون على القراءة بالفرنسية هنا بالجزائر عام ١٩٦٩ يشكلون أغلبية القراء. ولكن هذا ليس مبررا كافيا، إنما كانت بالإضافة إلى ذلك مشكلة الرقابة.

---

[1] لطيف زيتوني: التجريب في الإبداع الروائي، ضمن كتاب: الرواية العربية، ممكنات السرد، الجزء الأول، المجلس الوطني للثقافة، ٢٠٠٨، ص ١٢٠.

[2] صالح، زامل . تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ط١، ٢٠٠٣، ص ٤٠.

[3] ينظر: رشيد بوجدرة:

- الحلم الذي صودر(Pour ne plus rêver) ، (ديوان شعر)، ١٩٦٥.
- التطليق(La répudiation) (الرواية)، تعريب صالح القرمادي، ١٩٦٩.
- ضربة شمس: (l'ensolation)، (رواية)، ١٩٧٢.
- طوبوغرافيا مثالية لاعتداء موصوف١٩٥٧، (Topographie idéale pour une agression caractérisée).
- الحلزون العنيد(L'escargot entete)، (رواية) تعريب هشام القروي، ١٩٧٧.
- ألف وعام من الحنين(Les mille et une nuits de la Nostalgie) (الرواية)، ١٩٧٩.

وأقول بكل نزاهة، لقد كنت متخوفا من أن الرقابة ترفض ما سأكتبه. ولكنني صرت أتعذب وأتلوى تحت شعوري بالذنب تجاه اللغة العربية"([1])، وعليه فإن مسألة الكتابة باللغة العربية كانت مؤجلة إلى حين.

وهكذا جاءت رواية "التفكك" لتمثل باكورة الأعمال الروائية التي كتبها رشيد بوجدرة• باللغة العربية بعد "أن أنجز مدونة روائية بلغة ديكارت، جعلته في مصاف كبار الروائيين في الغرب وواحدا من أهم ممثلي تيار الرواية الجديدة في فرنسا إلى جانب كلود سيمون وآلان غرييه وناتالي ساروت"([2]). فأثرت كتاباته التجربة الروائية الجزائرية، ودفع بها إلى مواكبة الروايات الحداثية التي يعجّ بها العالم العربي من خلال "ضربة جزاء"(١٩٨١)، والتفكك (١٩٨٢)، المرث (١٩٨٤)، ليليات امرأة آرق (١٩٨٥)، ومعركة الزقاق (١٩٨٦). "وغيرها من التجارب التي تنوعت أسئلة متنها الحكائي وتباينت تقنيات ممارستها الروائية، ومنظورات أصحابها لمسالك التجديد ومواقفهم في التعامل مع إشكاليات الواقع الجزائري في الثمانينات"([3]). وقد أثارت مسألة كتابة بوجدرة بالعربية الكثير من الجدل في الأوساط الثقافية بالجزائر وتباينت في شأنها الأحكام والمواقف([4])، والحقيقة ليست كتابة رشيد بوجدرة بالعربية وحدها من صنع الجدل، بل الروائي في حد ذاته يصنع الجدل أينما حلَّ بجرأته وتكسيره للطابوهات وإمعانه في جلد الذات ومخالفة المألوف، والإصرار على اقتراف المغايرة والتعدي على الدين وأعراف المجتمع من خلال تصريحاته النارية عبر شاشات التلفاز، فهو يصر على صنع الغرابة وممارستها "يتعامل مع نمط الرواية لعبة فنية واعية لا يتقنها إلا المهووس.. يستخدم فيها الحواس والذوات والأشكال والألوان ويوظف التراث ويشتغل بكثافة على الذاكرة"([5]).

توحي عتبة العنوان في رواية "التفكك" بالتشعب وعدم التماسك، وهو تفكك يلقي بظلاله على جسد الرواية، فتمتد أذرعه لتحاصر رتابة الحدث وتعتصر ذاكرة البطل الطاهر الغمري لأن "العنوان هوية النص التي يمكن أن تختزل فيها معانيه ودلالاته المختلفة، ليس هذا فحسب بل حتى مرجعياته وإيديولوجيته."([6]). ويتدعم هذا الطرح بتشابك وتشعب بنيات شكلها وخطابها ناهيك عن أنساق لغتها ومستويات كلامها، وهو ما تجسده الأحداث في الرواية التي "لا تخضع بنيتها إلى نظام بيّنٍ يمثل نسقا يشعر فيه القارئ بوجود منطق يحكمها، إنما يتشابك بعضها ببعض ويتداخل، فيتكسر النسق ويرتبك النظام ويتحول إلى تفكك وفوضى فتعسر متابعة الأحداث لانحلال الروابط بينها بحكم تقطعها وتعقدها وتكرارها وتوالدها عبر مسالك الحلم والتداعي والتذكر؛ للذاكرة دور أساسي في استحضار الجانب المهم منها والذي يَسِمُه التشتت والتبعثر، فتخضع الأحداث إلى بنية هي في الواقع اللاَّ بنية وتحتكم إلى منطق هو في الحقيقة اللامنطق"([7])، هذا التفكك يعبر عنه بطل الرواية الطاهر الغمري وهو يكتب يومياته، فيقول:" تعقدت الأمور وتخبلت الخيوط وتشابكت التناقضات فيما بينها،

---

[1] ضياء خضير: مع الروائي رشيد بوجدرة، مجلة: "الأقلام"، (العراقية)، السنة ١٦، العدد١، تشرين الثاني، ١٩٨٠، ص٩٩.

• روائي جزائري جزائري، ولد سنة ١٩٤١ بعين البيضاء بالشرق الجزائري، ذو توجه شيوعي ماركسي يكتب باللغتين العربية والفرنسية، من الوجوه البارزة في الساحة الأدبية الجزائرية، كتب ما يربو عن الثلاثين عملا من قصة وشعر وروايات ومسرح ومراسلات ودراسات نقدية.

[2] كمال الرياحي: رشيد بوجدرة أوقد النار في فم الذئب، الواشنطوني العربي، موقع انترنت org/arabicwww.arabwashingtonian ، بتاريخ : الأربعاء ٠٣ أكتوبر ٢٠١٢.

[3] بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، مطبعة المغاربية، تونس، ط١ / ٢٠٠٥، ص٩.

[4] ينظر: ماكتبه واسيني الأعرج في دراسته لرواية "التفكك"، مجلة "المسار المغربي"، الجزائر، سنة ١٩٨٧، العدد ٤، ص٨٠ وما بعدها.

[5] بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي، تقديم محمود طرشونة، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط١/ ١٩٩٩، ص٣٦٩.

[6] عزالدين جلاوجي: العتبات والتحول في روايات الطاهر وطار، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٤٨٩، ٢٠١٢، ص١٦٣.

[7] بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص ٣٨٠.

أليس العود أعوج؟ وهنا يفلت منا السليك الواصل بين الأحداث الذي يهدينا إلى منعطفات التاريخ وتعرجاته وتقلباته"([1]).

٢- تمثلات الأنا في رواية التفكك

تبرز الأنا في شخصية الطاهر الغمري، في صورة كهل يبلغ الخمسين، ولد بإحدى القرى الجزائرية في أسرة فقيرة، كان معلما للقرآن في قريته ثم انخرط في جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٤٥، لكن سرعان ما انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري الذي آمن بمبادئه فكان ينتقل بين القرى ويلقي الخطب في صفوف الفلاحين متحدّثًا عن" الاستقلال عن الفقر، عن الجنة التي لا يجب أن يدخلوها وأمعاؤهم تعوي"([2]). وتجدر الإشارة إلى أن شخصية الطاهر الغمري، تمتلك بعدا حقيقيا واقعيا قبل أن تكتسب بعدا خياليا في الرواية؛ فقد عاشت هذه الشخصية فعلا زمن الاستعمار حيث يذكرها الكاتب والمناضل عبد الحميد بن الزين في مذكراته عن ثورة التحرير الوطنية الجزائرية، باعتبار الطاهر الغمري أحد رفاقه في النضال يقول: "في هذا السجن في شهر ماي ١٩٥٧ تحصلت على بعض المعلومات عن بلحاج والطاهر الغمري ورفاق آخرين سقطوا والسلاح في أيديهم، أو اغتيلوا بكل برودة دم من طرف العدو"([3]).

إذن فشخصية الطاهر الغمري شخصية واقعية، مناضلة، منخرطة في جبهة التحرير الوطني، اغتيلت في زمن الثورة (١٩٥٧)، لكن الكاتب أعاد بعثها، فجاءت حاملة للكثير من مواصفات الطاهر الغمري الذي عاش فعلا على الصعيد التاريخي بشكل حقيقي، واكتسب بالتالي أبعادا جديدة إبداعيا، الأمر الذي يجعل وجوده المتخيل يتباين في الكثير من صفاته ومواقفه عن وجوده التاريخي من ذلك:

- أنه لا يستشهد في النص الروائي، بل يواصل حياته بعد الاستقلال.
- يقف على جملة من التناقضات التي زعزعت الثقة وطمست الألق الثوري.
- يعيش محاصرا بعذابات الضمير وتسلط الذاكرة.

وهكذا بدأ الطاهر الغمري بعد الاستقلال في تدوين مذكراته حول تاريخ ثورة التحرير "مصحِّحا الكثير من مواطن الخلل والزيف ومصوِّرًا واقع الفوضى الذي كان يطبع جزائر الاستقلال على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، فيفضح مظاهر تهافته ويكشف عن أسبابها، في أسلوب جريء لا يتهيّبُ من النقد اللاذع والإدانة المباشرة للسلطة، مما يجعل الشخصية التخييلية في الرواية تنزاح عن السياق التاريخي وتنخرط في السياق الإبداعي مركزة على استدعاء سيرة ماضيها عامة والنضالية منها خاصة في صفوف الثورة، وعارضة سيرتها الحاضرة زمن الاستقلال"([4]) مستخدما في ذلك السخرية المريرة والنقد اللاذع، يقول: "البيض مفقود في المدينة والخلق يُكوِّن سلاسل الانتظار أمام الحوانيت والمغازات الكبرى وما ذلك إلا لشراء البيض، قالوا أصبحت الدجاجة الوطنية تتناول أقراص منع الحمل ولم يبق للنساء شيء للوقاية منه، أتى التضخم على كل شيء

---

[1] رشيد بوجدرة: التفكك، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ٢٣٠.

[2] الرواية ، ص ٤٢.

[3] BENZINE Abdelhamid « journal de marche -F.N.A.L ,Alger ,1965, p97.

[4] بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص ٣٧٢.

تفجرت المدينة"[١]، وعليه فإن الانحراف الذي طال قدسية الثورة الجزائرية، بدأ باعتلاء أصحاب المصالح والمنافع سدة الحكم وتراجع المجاهدين الذين كافحوا وضحوا من أجل الاستقلال.

ويتوصل إلى أن يتبوأ مكانة مرموقة في الحزب، جعلت منه شخصية مهمة، دورها الأساس هو بث الوعي السياسي بين الفلاحين وتجنيدهم للثورة، ثم المبادرة بتنفيذ عمليات عسكرية ضد الاستعمار مع شخصيات أخرى من الحزب الشيوعي الجزائري، بعضهم استشهد على يد الاستعمار والبعض الآخر تمت تصفيته على يد بعض الفصائل المنتمية إلى جبهة التحرير الوطنية الجزائرية. وعندما أحس الطاهر الغمري أن مصيره لن يعدو أن يكون مثل رفاقه قرر الفرار والاختباء مع مواصلة الكفاح "هربت لم أترك الفرصة، أخذت أسلحة وعتادا واختفيت في القرية حيث كنت أمارس العمل الحزبي، نصبت كمائن.. في النهار يزبرون شجر المشمش والزيتون، وفي الليل ينصبون الفخاخ..بالمرصاد..لا ننتقل..نبقى في مكاننا صامدين...يأتي الجيش الفرنسي ولا نفوه بكلمة، يأخذون الرهائن، يقتلون منا واحدا أو اثنين... وفي الغد نفس الكمين.."[٢]. وهكذا اندمج الطاهر الغمري في اللعبة وأدرك أن الانتماء إلى الحزب الشيوعي لا يتنافى وانتماءه إلى صفوف الثورة، فكان في صفوفها حتى النهاية، وغدا رمزا للدور النضالي الذي قام به الحزب الشيوعي الجزائري قبل الثورة وأثناءها إلى جانب جبهة التحرير الوطني، وهي إشكالية أثارها رشيد بوجدرة بجرأة في الرواية، كما أثارها أيضا الروائي الطاهر وطار في رواية"اللاز"، بنوع من الموضوعية لإنصاف الآخر، ورغبة صادقة للكشف عن الكثير من الملابسات والأحداث المتصلة بثورة التحرير الجزائرية في جزئياتها الصغيرة "فالتاريخ إنما هو هذه الجزئيات البسيطة التافهة، ففيها يكمن الصدق التاريخي ومنها يمكن أن تصنع مادته"[٣].

وكانت ملحمة الثورة الجزائرية والاستقلال الذي شهده الطاهر الغمري إلى جانب الكثيرين من الذين ناضلوا وكافحوا في الميدان؛ ولكن سرعان ما يسرق الحلم حلم الاستقلال فتبرز الأنانية، ويحاصر المنضمون تحت راية الحزب الشيوعي الجزائري وتكال لهم التهم التي تصل درجة الخيانة، وتستفرد جبهة التحرير وحدها بالنصر، فيتسلل إليها الانتهازيون وأصحاب المصالح الذين لم يطلقوا رصاصة على الاستعمار ليكونوا في المقدمة، ويغتال الثوار وتسرق الثورة فتستولي جهة واحدة على المشهد في فترة ما بعد الكولونيالية، وتعمل على مصادرة رأي الآخر المخالف، ولعلّه بين الحين والآخر، يتمتم قائلا: "لماذا لم يقودوا الثورة المسلحة؟ كان ذلك شيئا ممكنا، مرّ القطار وهم يترقبون بنيتهم الحسنة، في قاعة الانتظار يترقبون تفجر الثورة العالمية، هل فاتتهم طبيعة الاستعمار؟ هل سبب هذا الخلل الهائل كان عدم وجود طبقة عاملة قوية وواعية؟ هل كان لا بد للثورة الوطنية من مرحلة انتقالية تقودها البرجوازية الصغيرة وأحزابها"[٤]. هي سياط من الأسئلة يجلد بها الطاهر الغمري ذاته، تزداد وطأتها، كلما تواشج أمامه تراقص الذكريات التي تجعل من الزمن النفسي قوة تمدّه بالقدرة على اختراق ذاكرة البطل، وتجاوز ملامح الحضور التي طرحتها الرواية التقليدية، والترفع عن كونها عنصر تأثيث حيث راح الطاهر الغمري يعاكس الذاكرة ويدغدغ الأنا، مستعينا بصدق التجربة وحرارة المعاناة ليعانق الزمن الماضي المستحضر بواسطة الذاكرة عبر الومضة الورائية.

---

١ الرواية، ص٧٨.

٢ الرواية، ص٦٣.

٣ الرواية، ص ١٩٢.

٤ الرواية، ص ١٧٢.

٣- وطء الذاكرة وتمزق الذات

تحقق الاستقلال بعد رحلة من الدم والدموع والمعاناة والقهر، فكان بمثابة حلم يستيقظ منه الطاهر الغمري ليجد نفسه مهمشا في مجتمعه، يعيش في بيت قصديري، يطل على ميناء الجزائر التي طالها التغيير ونال من جمالها النزوح الريفي، فغدت مدينة غير مريحة وغير مألوفة، مما ولد لديه الإحساس بالوحدة والاغتراب "فيتوغل في عزلة مقيتة"([1]). ويتعمق لديه الإحساس بالاغتراب، فينسحب من المشهد الاجتماعي، ويفضل أن يبقى وحيدا يعايش الألم والمرض ويستعيد الذكريات ممعنا في جلد ذاته واعترافه بعدم جدوى وجوده فهو "غير صالح وغير نافع وأنه-مرة أخرى- ترك القطار ينطلق نحو الآفاق الفولاذية..وبقي واقفا على رصيف الحياة، لايقدر على سرعة القطار شيئا، ولا يحاول حتى القيام بأدنى حركة غضبية أو بأتفه رد فعل مضجر"([2]).

فقد غدا حنين الثورة والأيام المشرقة التي عاشها قائدا مزهوا يكافح الاستعمار الفرنسي وينصب له الكمائن، خنجرا يمزق الاستكانة التي أحال إليها ذاته لكن عذابات الذاكرة ما برحت تقض مضجعه وتقلق سكونه وتزيد من هواجسه وهواجمه لترفع من سقف معاناته. يعيش الطاهر الغمري مسكونا بوجع الذاكرة، يعاني من وطأتها؛ ومن لسع سياطها.. فتارة يستعيد فجائع ما حدث لرفاقه واستشهادهم في حرب التحرير، وتارة ينأى عن تقبل الواقع ومحاولة الاندماج فيه. وهو حين يستعيد فجائع ما حدث لرفاقه واستشهادهم في حرب التحرير، يلوم نفسه ويحس بتأنيب الضمير فهو الناجي الوحيد بينهم، لكنه ميت حي عاجز عن الانعتاق والتحرر من الماضي، فيعمد إلى التفكير في الانتحار بشكل جدي وبنظرة المخلص من العذاب.

تجده يرزح تحت وطأة التهميش في الزمن الحاضر، والتغييب في الزمن الرسمي، ولا يجد مناصا من ربط جسور التواصل بين الماضي والحاضر عبر إعادة تشكيل واقعه المشتت فيشرع في كتابة مذكراته اليومية، ويعيد من خلالها النظر في ذلك التاريخ عبر"الانزلاق في شرائح الذاكرة وثناياها وطياتها وغضوناتها، وإلى دوائر المخ وتلافيفه وإلى شوارع الهوس وتلاعبات الوهم"([3]). وهكذا تتجلى دلالة التفكك في جميع مناحي الحياة في فترة ما بعد الكولونيالية بالتمزق الحاصل على جميع المستويات سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

الخاتمة

لعل ما يمكن قوله في ختام هذه المداخلة؛ أن بروز الأنا وتمرد الذاكرة في الخطاب الروائي العربي قد شكل لحظة للتماهي والتواشج في المتن الروائي الجزائري عبر استعراض جزئيات كان لها أثر كبير في تشكيل المشهد الروائي في فترة مابعد الكولونيالية؛ عبر اتخاذه أشكالا متعددة؛ وعليه فإن قارئ الرواية موضوع الدراسة "التفكك" يطالع ألما وتمردا وبوحا من نوع آخر:

١- اعتبار شخصية الطاهر الغمري نموذجا لتجربة الحزب الشيوعي الجزائري بكل أخطائه وتناقضاته، وهي الشخصية التي لايمكن تصورها بهذا القدر من السلبية في تعاملها مع واقعها الجديد الذي تمثله جزائر الاستقلال.

٢- تمرد الذاكرة هو نوع آخر من الهروب وعدم تقبل الواقع.

---

[1] الرواية، ص ٨.

[2] الرواية، ص ١٩٤.

[3] الرواية، ص ٧٥.

٣- إدانة هذا الحزب وتحميله مسؤولية التفكك الذي وَسِمَ مرحلة الثورة في زمن الاستقلال سياسيا واجتماعيا وثقافيا، فيه الكثير من التحامل والظلم ويعكس تنكرا صريحا لما قدمه هذا الحزب للثورة الجزائرية.

٤- إسقاط رشيد بوجدرة شخصية البطل الطاهر الغمري على الشخصية المعنوية للحزب الشيوعي الجزائري في رواية التفكك.

٥- يظهر التفكك ثيمة بارزة سيطرت على كل مناحي الحياة في مدينة الجزائر، تفكك إيديولوجي وثقافي وتفكك في البنية الاجتماعية.

٦- في الرواية تعريض وإدانة واضحة للسلطة السياسية التي استولت على الحراك الثوري، وقزمته ونسبت الانتصار لها فقط في إقصاء واضح للآخر.

٧- محاولة الكاتب رشيد بوجدرة رسم ملامح التفكك التي طالت المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

الإحالات والهوامش:

١- بوشوشة بن جمعة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، مطبعة المغاربية، تونس، ٢٠٠٥.

٢- بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي، تقديم محمود طرشونة، المغاربية، تونس، ط١، ١٩٩٩.

٣- رشيد بوجدرة: التفكك، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائرط١، .

٤- عزالدين جلاوجي: العتبات والتحول في روايات الطاهر وطار، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد ٤٨٩، سنة ٢٠١٢.

٥- صالح، زامل. تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي. المؤسسة العربية، بيروت. ط١، ٢٠٠٣.

٦- ضياء خضير: مع الروائي رشيد بوجدرة، مجلة: "الأقلام"، (العراقية)، السنة ١٦، العدد١، تشرين الثاني، ١٩٨٠.

٧- كمال الرياحي: رشيد بوجدرة أوقد النار في فم الذئب، الواشنطوني العربي، موقع انترنيت www.arabwashingtonian org/arabic، بتاريخ : الأربعاء ٠٣ أكتوبر ٢٠١٢.

٨- لطيف زيتوني: التجريب في الإبداع الروائي، ضمن كتاب: الرواية العربية، ممكنات السرد، الجزء الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨.

٩- واسيني الأعرج في دراسته لرواية "التفكك"، مجلة "المسار المغربي"، الجزائر، سنة ١٩٨٧، العدد ٤.

١٠- BENZINE Abdelhamid « journal de marche - F.N.A.L ,Alger ,1965.